



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات أكتوبر ٢٠١٧

أبنائي الأحباء،

في العالم نشجع العقل المحب للاستطلاع والشغوف إلى المعرفة، فإن ذلك يساعد على تنشيط الذاكرة، وتطوير الفهم واتساع أفق المعرفة. بينما في الحياة الرهبانية يتم تشجيع حب الاستطلاع فقط عندما يكون موجهاً نحو الله. فضولنا في الحياة الرهبانية هو في الرغبة إلى معرفة خالقنا، لأن هذا يقودنا إلى البحث في الكتاب المقدس، والذي يؤدي بدوره إلى الرغبة في فهم كلمة الله، ومن ثم - ومن خلال نعمة الله - تنشأ لدينا الرغبة في النمو في العبادة والتسييح.

إنها رحلة لا نهاية لها من الحب والجهاد تقربنا من الحبيب. ومع ذلك، عندما نبدأ في أن نكون فضوليين في أمور ليست في نطاق المسئولية الموكلة إلينا، وغير مفيدة لنموننا الروحي بأي حال من الأحوال، فإننا بذلك نحول أعيننا عن الهدف، ونبدأ في الركوض في مسار جديد من المشتتات.

الفضول في المسائل التي لا تعنيننا يمكن أن يؤدي إلى العديد من الأشياء السلبية، مثل أن يصرف انتباهنا عن هدفنا الأوحى في هذا المكان؛ أو أن يدفعنا إلى أفكار إدانة أو كبرياء.

تخيل أنك عداء أولمبياً، وقد تدربت لفترة طويلة استعداداً ليوم السباق، وأنت الآن مستعد بديناً، وتعرف تماماً كيف تحتفظ بعينيك على الهدف. دعنا الآن أن نتخيل أنه في يوم السباق بدأت في تركيز أفكارك على عداء آخر تم تخصيص حارة عدو له على بُعد حارتين من حارتك (لاحظ هنا أنك قد بدأت في التشتت حتى قبل بدء السباق)، وبعد بضع ساعات تذهب إلى المضمار استعداداً للعدو في ذلك السباق الذي تدربت من أجله طوال سنوات. انطلقت إشارة البدء، وبدأت في العدو. كنت المتقدم في السباق، وكل شيء يبدو على ما يرام، ثم بدأت تأتي إلى ذهنك الأفكار: "أين هو ذلك العداء الآخر"، "ما مقدار المسافة التي يتأخر بها عني؟"، "هل أعدو بالسرعة الكافية بحيث لا يستطيع أن يدركني؟" "هل يمكن أن يتفوق/تتفوق علي؟". وللأسف فإن هذه الأفكار تتسبب في إبطائك، فتصبح متوتراً، وتحول عينيك لترى أين يكون ذلك العداء الآخر، ثم ماذا تتوقع أن يحدث بعد ذلك؟! تنحرف عن المضمار المخصص لك، وتصطدم بالعداء المجاور لك. لقد حوّلت نظرك عن الهدف وسقطت.

بالطبع نحن، في الحياة الرهبانية، لا تتنافس ضد بعضنا البعض، بل في الواقع أنه إذا سقط أحداً منا، فينبغي أن يجد أخيه/أخته بجانبه يساعده على القيام مرة أخرى.

المنافسة الحقيقية لكلاً من اللاعب الرياضي والمجاهد الروحي هي منافسة داخلية أو جهاد داخلي... الهدف الحقيقي هو أن نكون الأفضل بالنسبة إلى ما يتعلق بالله، وليس بالمقارنة مع أخيك/أختك. أما التشتت فإنه يعوق تقدمنا. سواء كنا بسبب الغيرة أو بسبب أي شكل آخر من عدم الإحساس بالأمان، لا نخوض هذه الحرب داخلياً وبمعونة الله، فسوف تظهر آثار هذا خارجياً في أفعالنا، إلى أن نحول أبطارنا في النهاية عن الهدف.

"فَلَا يَتَأَلَّم أَحَدُكُمْ كَقَاتِلٍ، أَوْ سَارِقٍ، أَوْ فَاعِلٍ شَرٍّ، أَوْ مُتَدَاخِلٍ فِي أُمُورِ غَيْرِهِ" (١بط ٤: ١٥)

رد القديس برصنوفوريوس على خطاب من أخ كان يظن أن الأب المدير يعطي تفضيلاً لآخرين بالآتي:

"أيها الأخ أنت الذي تجرب ذاتك. أما تعلم أنه: **"كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَدَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ"** (يع ١: ١٤). لا تلم أحداً إلا نفسك ولا يكن لديك حب استطلاع عن الآخرين لأن هذا بلا فائدة لك. أنظر كيف استطاع الشيطان أن يجعل قلبك يضطرب من أجل أمر تافه! انهض إذن واستند على ذراع الله ولا تثق بأفكارك حيث يوسوس لك الشيطان أمور غير واقعة بحسب هواهم" (١). الله لا يمنحه مجالاً للقيام بذلك. لقد قال الرب لبطرس: **"سَمْعَانُ، سَمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُم لِكَيْ يُعْرَبِكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلِكَيْ طَلَبَتْ مِنْ أَحْلِكَ لِكَيْ لَا يَقْنَى إِيْمَانُكَ"** (لو ٢٢: ٣١، ٣٢). احرص ألا تجعل صلاتي إلى الله لأجلك عبثاً، وحتى لو لم تأت إلي في هذا الوقت، كنت سوف أعلن لك هذه الأمور. لقد أخطأت، فتحلّى بالهدوء ولا تفكر في الأشياء الشريرة. بل فكر فقط في الأشياء الصالحة. لأن الإنسان الصالح يفكر في الأشياء الصالحة، بينما الشرير يفكر في الأشياء الشريرة. سوف يغفر لك الله. انهض مرة أخرى، مسنوداً بيد الله القوية، ولا تثق بأفكارك فإن الشياطين يعرضون لك الأمور كما يريدون. فتحفظ منهم لأنهم مخيفون ويستشيطون غضباً، وسوف يمحوهم الله عنك سريعاً يا أخي. آمين".

هنا تمكن الفضول من الراهب، وأصدر أحكاماً، فوصل في نهاية المطاف إلى الحالة المقلقة وهي الشعور بالإهانة. فلنتذكر القول المعروف لمثلث الرحمات، الحبيب البابا شنودة الثالث: **"أنا مالي، خليتي في حالي"**. وهذا، يا أحياناً، سوف ينجيكم من كثرة من الخطايا. في كثير من الأحيان نعتقد أنه يحق لنا معرفة معلومات معينة، أو نظن أنه كلما كان لدينا المزيد من المعلومات، كلما أصبحتنا أكثر أهمية، وإن كان لدينا قليل من المعلومات، نشعر أننا أقل أهمية.

يمكننا بسهولة أن نسقط في الكبرياء من خلال الفضول في أشياء بسيطة: مثل طرح أسئلة غير ضرورية، وتكوين آراء حول المعلومات التي عرفناها، أو الاستماع إلى محادثة لسنا طرفاً فيها، أو البحث في مسألة لا تعيننا... منبع كل هذه الأمور هو الكبرياء.

ربما يحتاج الأمر إلى القليل من الانضاع لقبول حقيقة أن هناك أشياء معينة لا نحتاج إلى معرفتها. وبالطبع إذا كانت هذه المعرفة في نطاق مسئوليتنا، فهذه قضية مختلفة تماماً، ولكن إذا لم تكن، فلماذا إذن نشعر بالحاجة إلى المعرفة؟!

"لَأَيِّ لَمْ أَعَزِمُ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً" (١كو ٢: ٢).

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.